الفصل الثاني

دعاء نوح

دعا نوح ـ عليه السلام ـ لنفسه وللمؤمنين به بالنجاة والنصر ، وعلى قومه المكذبين بالهلاك . وقد ذُكر دعاؤه في آيات عديدة ، ولعله تكرر مرات كثيرة . قال تعالى :

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾[1] [القمر : ١٠ـ١٤] .

وكان توجه نوح ـ عليه السلام ـ إلى ربه بالدعاء بعد أن كذبه قومه ، وهددوه بالقتل رمياً بالحجارة ، قال تعالى :

﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴾[2] [الشعراء : ١١٦ـ١٢٠] .

كما كان دعاؤه بعد أن أوحي إليه أنه لن يؤمن أحد من قومه الذين يكذبون

---

(١) الدسر : جمع دسار ، وهو المسمار ، أو خيط من ليف تشد به ألواح السفينة ، تجري بأعيننا : برعاية الله وحفظه .

(٢) المرجومين : المقتولين بالحجارة ، فافتح بيني وبينهم : أي فاحكم بيني وبينهم ، الفلك المشحون : السفينة المملوءة .

به ويعاندونه سوى من آمن منهم من قبل . وحين استجاب الله دعوته أمره أن يصنع السفينة ليتقوا بها خطر الطوفان الذي سيغرق قومه الظالمين . قال تعالى : ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾(١)

[هود : ٣٦ـ٣٧] .

وفي هذا درس لنا بأن الدعاء لايعني الاستسلام وعدم القيام بأي عمل ، فعلى المرء أن يقوم بما يستطيعه مع توجهه إلى ربه بالدعاء ، كما قام نوح بصنع السفينة لتكون وسيلة للنجاة . قال سبحانه :

﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾(٢) .

[المؤمنون : ٢٦ـ٢٧] .

وحين أمر نوح أهله والمؤمنين به بالركوب في الفلك كان يذكر الله ويدعوه ليحفظها في جريها ورسوها . قال تعالى :

﴿ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَا ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود : ٤١] .

وحين استووا فيها كان يحمد الله على النجاة ، ويدعوه بأن ينزلهم في مكان مبارك . قال تعالى :

﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون : ٢٨ـ٢٩] .

وهكذا يكون من المناسب ذكر الله وحمده كلما ركبنا مركباً . وهو ماسنبينه في دعاء نبينا محمد ﷺ إن شاء الله تعالى .

---

(١) فلا تبتئس : لاتحزن .

(٢) فاسلك فيها : ادخل في السفينة .

وبعد أن استوت الفلك على الجودي[1] وتم غرق الظالمين تحركت في نفس نوح ـ عليه السلام ـ نزعة الحنين إلى ابنه العاق الذي امتنع عن الركوب معه ، وظن أنه سيأوي إلى جبل يعصمه من الماء ، فدعا ربه متضرعاً إليه ، وأتاه الجواب الحاسم بتنحية ولده عن أهله المؤمنين لسوء عمله . قال تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [هود : ٤٥ـ٤٦] .

وأدرك نوح ـ عليه السلام ـ أنه سأل مالاينبغي أن يسأله ، ودعا بما لا يليق أن يدعو به ، فالتجأ إلى الله سبحانه يسأله المغفرة والرحمة ، كما فعل آدم ـ عليه السلام ـ من قبل ، قال الله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [هود : ٤٧] .

وأتاه الأمر بأن يهبط مصحوباً بالسلام والبركات عليه وعلى من معه . وفي هذا إعلان بالتجاوز عنه ومغفرة زلته . قال تعالى : ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

[هود : ٤٨] .

وهكذا يستجيب الله دعاء عباده المؤمنين وينجيهم من الكرب ، كما استجاب لنوح ونجاه ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[2] [الصافات : ٧٥ـ٧٦] .

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٦ـ٧٧] .

---

(١) اسم الجبل الذي رست عليه ، ويقع شرقي الجزيرة قُبالة الحدود السورية التركية حالياً من جهة نهر دجلة .

(٢) الكرب العظيم : يعني الطوفان وتكذيب قومه له .

وكما دعا نوح ـ عليه السلام ـ على قومه الظالمين بالهلاك ، فإنه دعا بالمغفرة والرحمة له ولوالديه ولمن دخل بيته مؤمناً ولجميع المؤمنين والمؤمنات . قال تعالى : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴾[1] . [نوح : ٢١ـ٢٢] .

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾[2] [نوح : ٢٦ـ٢٨] .

وكما استجيب له في الكافرين ، فقد استجيب له في المؤمنين . فعليه وعلى نبينا أفضل صلاة وأزكى سلام .

* * *

(١) كباراً: كبيراً عظيماً .

(٢) لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً: لاتبقِ أحداً منهم ، تباراً: هلاكاً وخساراً .